الحجاج في كلام الإمام علي الهادي عليه السلام على الجبر والتفويض

أحمد عبد ميرزا
مدرس مساعد ، محافظة كركوك ، العراق
doaaahmed199180@gmail.com

Hajjaj in the words of Imam Ali al-Hadi (peace be upon him) on compulsion and delegation

Ahmed Abed Mirza
Assistant Lecturer, Kirkuk Governorate, Iraq

الملخص:-

يتناول هذا البحث دراسة البنية الحجاجية في كلام الإمام علي الهادي عليه السلام على الجبر والتفويض في الرسالة التي وجهها عليه السلام إلى أهل الأهواء، فتناول البحث بداية الحديث عن مفهوم الحجاج ومنطلقاته قبل البدء بتحليل البنية الحجاجية في كلامه عليه السلام، فقد اتبع عليه السلام أسلوب السلالم الحجاجية المتصاعدة بالأخذ بمنكلقات الحجاج عبر ذكر مجموعة من المقدمات التي جعل الخصم يسلم بها وتكون عنده بمثابة المرتكزات لتأسي الكلتم القائم على الحجاج، فأثبت عليه السلام حجية القرآن الكريم وصدقيته مما هيأ للسامع القبول بكلامه بعد ذلك وصولاً إلى النتيجة من كلام آل البيت عليهم السلام.

الكلمات المفتاحية: الإمام الهادي عليه السلام، الجبر، التفويض، الحجاج.

Abstract:-

This research deals with studying the argumentative structure in the speech of Imam Ali al-Hadi (peace be upon him) on compulsion and delegation in the message that he (peace be upon him) addressed to the people of whims. The research initially discussed the concept of argumentation and its starting points before beginning to analyze the argumentative structure in his speech (peace be upon him). He (peace be upon him) followed the method of ascending argumentative ladders by taking into account the argumentative points through mentioning a group of introductions that he made the opponent accept and which were for him as foundations for the foundation of the statement based on argumentation. So, he (peace be upon him) proved the authority and truthfulness of the Holy Quran, which prepared the listener to accept his speech after that, arriving at the result from the speech of the Household of the Prophet (peace be upon them).

Key words: Imam al-Hadi (peace be upon him), compulsion, delegation, argumentation.

المقدمة:

لقد أخذت النظرية الحجاجية موقعاً متميزاً في الدراسات اللغوية والتداولية الحديثة، حيث يعد الحجاج ركناً من أركان النظرية التداولية التي كان لها مجال واسع في مختلف العلوم، ويعد أرسطو هو المنظر الأول للنظرية الحجاجية، ومنه استقى العرب والغربيون أسس دراستهم لها، مما طور من مفهوم الخطاب واللغة على حد سواء، حتى نظر المفكرون إلى اللغة على أنها متضمنة لبنية حجاجية على نحو دائم، حيث يعد الحجاج وسيلة لإقناع المخاطب بما يقوله المتكلم، وقد تميز كلام الأئمة من آل البيت عليهم السلام بقوة الحجة وسلامة المنطق، من خلال خطب أمير المؤمنين عليه السلام وخطب الإمامين الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة عليهما السلام، وكذلك ما ورد من روايات عن باقي الأئمة عليهم السلام، وهذا التميز في أسلوب الخطاب دفع الباحث إلى أن يلقي الضوء على البنية الحجاجية في كلام الإمام علي الهادي عليه السلام، وكان كلامه في الجبر والتفويض مادة غنية لهذا البحث، فكان الاختيار لها لتكون مادته البحثية، فقسم البحث إلى مبحثين، كان المبحث الأول الحديث عن مفهوم الحجاج ومنطلقاته، ثم المبحث الثاني للحديث عن تجليات البنية الحجاجية في كلام الإمام الهادي عليه السلام عن الجبر والتفويض، ويتلو ذلك خاتمة متضمنة لأبرز النتائج التي توصل إليها البحث، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله، وآل بيته الطاهرين عليهم السلام أجمعين.

المبحث الأول

مفهوم الحجاج ومنطلقاته

المطلب الأول ـ مفهوم الحجاج:

الحجاج في اللغة مشتق من مادة حجج، وهو من قولهم "حاججته أحاجّه حجاجاً ومحاجة من حجته بالحجج التي أدليت، والحجة البرهان، وقيل الحجة ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وجمع الحجة حجج حجاج، وحاجه محاجة وحجاجاً نازعه الحجة، وحجه يحجه غلبه على حجته، وفي الحديث: فحج آدم موسى، أي غلبه بالحجة، واحتج بالشيء اتخذه حجة، قال الأزهري: إنما سميت حجة لأنها تحج أي تقصد، لأن القصد لها وإليها"[1].

ومما ذكره المعجميون أيضاً أن معنى حاججت فلاناً "أي غلبته بالحجة، وبذلك الظفر

يكون عند الخصوم، والجمع حجج، والمصدر حجاج، والحجة الدليل والبرهان"[٢].

ويأتي الحجاج مرادفاً للجدل، ذلك أنه يقال: "هو رجل محجاج أي جدل"[٣]، ومن ذلك قول الله سبحانه وتعالى: "﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾"[٤].

ومما ذكر أيضاً أن "الحج القصد، مطلقاً، حجه يحجه حجاً قصده، وحجت فلاناً واعتمدته، قصدته، ورجل محجوج، أي مقصود، والحج الكف كالحجحجة، يقال: حجحج عن الشيء وحج: كف عنه، والحج الغلبة بالحجة، يقال: حجه يحجه حجاً إذا غلبه على حجته"[٥].

أما من حيث الاصطلاح، فقد ذكر الجرجاني قديماً أن "الحجة ما دل به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد"[٦]، ويظهر من ذلك أن أساس الحجاج هو الارتكاز على دليل معين بقصد إثبات قضية من القضايا، ومن ثم بناء موقف ما، وقد كان مفهوم الحجاج من حيث الاصطلاح مثار جدل بين الباحثين، فلم يتفقوا على تعريف محدد له، ومما عرف به قولهم أنه "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[٧]، ويبدو هذا التعريف مقتصراً على الجانب الشكلي من دون التعرض إلى بنية الحجاج التداولية وغايته في الإقناع والتأثير، ولذلك فإننا نجد أن من التعريفات التي احتوت على هذا الجانب قولهم إن الحجاج هو "العملية التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام التصورات والمعتقدات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية"[٨].

ويعد أرسطو أهم من تحدث عن الحجاج، حتى نجد أنه يعد المرجع الرئيسي لكل المفكرين العرب والغربيين في العصر الحديث، حيث تناول الحجاج من جانبين متقابلين: الجانب البلاغي والجانب الجدلي، حيث يربط أرسكطو الحجاج من الجانب البلاغي بالإقناع، أما من الناحية الجدلية فإنه يربطه بعملية التفكير التي تتم عن طريق بنية حوارية تنطلق من المقدمات لتصل إلى النتائج التي ترتبط بها، وهذان الجانبان متكاملان في التحديد الذي يقدمه أرسطو لمفهوم الخطاب انطلاقاً من أنواع الحضور والرغبة في الإقناع، وهو يحدد للخطاب الحجاجي ثلاثة أنواع: الخطاب الاستشاري، والخطاب القضائي، والخطاب القيمي[٩].

ويعد الحجاج في العصر الحديث من النظريات التي تهتم بها التداولية إلى جانب نظرية التلفظ وأفعال الكلام، حيث اعتبرت الحجاج الأساس للعلاقات الاجتماعية كونه يقوم على فن الإقناع، فهو "تلك المشاركة في تقديم الحجج وعلى مقابلة الحجة بالحجة"[١٠]، فهو يركز على دراسة الطريقة والأسلوب اللذين يتبناهما المتكلم للتعبير عن معتقدات المتلقي وإقناعه بالموضوع المراد إيصاله إليه.

فالحجاج إذن يركز على تقديم الحجج والأدلة المؤردية إلى متيجة معينة كونه "يتمثل في إنجاز تسلسلات، فهو يهتم بإنجاز متواليات من الأقوال، بعضها بمثابة الحج اللغوية، وبعضها الآخر استنتاجية داخل الخطاب"[١١].

وقد نال الحجاج في الدراسات الغربية اهتماماً كبيراً حيث استعمل الباحثون نظرات ورؤى جديدة للدراسات الحجاجية انطلاقاً من الأسس الحجاجية عند أرسطو[١٢]، وقد توصلت تلك الدراسات الغربية إلى أن الوظيفة الرئيسية للغة هي الحجاج، وأن المكون الحجاجي في المعنى أساس، والمكون الإخباري ثانوي، وأنه لا يمكن الفصل بين النداوليات والدلالات[١٣].

ويقوم الحجاج على التفاعل بين المتكلم والسامع، حتى قيل إن موضوع الحجاج "هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد من درجة ذلك التسليم"[١٤].

المطلب الثاني ـ منطلقات الحجاج:

يقوم الحجاج على مجموعة من الأسس والمنطلقات التي تعد بمثابة مبادئ وقواعد عامة تجعل حجاجاً خاصاً ممكناً وهي تقابل مسلمات الاستنتاج المنطقي[١٥]، ومن أهم خصائصها أنها مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة، وهي تتصف بالعمومية لذلك، وتصلح للكثير من السياقات المتنوعة[١٦]، فهذه المبادئ الحجاجية هي قواعد عامة تجعل استدلالاً ما ممكناً تداولياً، وهي مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد جماعة بشرية معينة، وهي نسبية ومرنة وسياقية بخلاف قواعد الاستدلال[١٧].

وتعد المقدمات الحجاجية أو المنطلقات الحجاجية بمثابة تمهيد استدلالي، حيث إنها النقطة الأساسية في انطلاق الحجاج، ومن أهم هذه المنطلقات:

١- **الوقائع:** تشكل الوقائع نقطة انطلاق ممكنة للحجاج، فهي تعتبر بمثابة عنصر مشترك بين جميع الناس، أي إن هذه الأخيرة لا تكون عرضة للدحض أو الشك، ونجد أنها تنقسم بدورها إلى نوعين يتمثلان في وقائع مشاهدة معاية، ووقائع مفترضة، والميزة الأساسية لكليهما أنهما يكونان متطابقين مع بنى الوقائع التي يسلم بها الجمهور(١٨).

٢- **الحقائق:** وهي أنظمة أكثر تعقيداً من الوقائع، وتقوم بالربط بين الوقائع، ومدارها يقوم على نظريات علمية أو مفاهيم فلسفية أو دينية، ونجد أن الخطيب يعمد إلى الربط بين الوقائع والحقائق من حيث إنها موضوعات متفق عليها، ليحدث موافقة الجمهور على واقعة معينة(١٩).

٣- **الافتراضات:** وشأنها شأن الوقائع والحقائق تحظى بالموافقة العامة، ونجد أنها تتحدد بالقياس إلى العادي أو المحتمل(٢٠).

٤- **القيم:** تعد القيم بمثابة مدار أساسي للحجاج، وهي تنفتح على مجالات أخرى كالسياسة والفلسفة وغيرهما، وهي نوعان: قيم مجردة وقيم محسوسة، حيث تكون القيم المجردة هي القيم التي تعتمد على التجريد وتكون القيم المحسوسة هي التي يكون فيها الحس والإدراك حاضرين(٢١).

٥- **وهي عبارة عن مصنفات يعتمد عليها الاستدلال الجدلي والمعاني،** وتعد مخازن للحجج ومستودعات لها، ونجد أن هذا المفهوم انبثقت عنه كلمة مواضع التي تنقسم بدورها إلى مواضع مشتركة أو مبتذلة، وتطبق على مختلف العلوم في حين تكون هناك مواضع خاصة وقفاً على علم بعينه، أو نوع خطابي معين لا يتعداه إلى غيره(٢٢).

٦- **الهرميات:** وهي عبارة عن قيم خاضعة لهرمية ما وليست مطلقة وتنقسم إلى نوعين: مجردة مثل اعتبار العدل أفضل من النافع، ومادية محسوسة كاعتبار الإنسان

أعلى درجة من الحيوان، وتعد القيم في البنية الحجاجية أهم من القيم ذاتها، فالقيم وإن كانت تسلم بها جماهير سامعين عدة فإن التسليم بها يكون مختلفاً من جمهور إلى آخر، وهو ما يعني أن القيم درجات، وليست كلها في مرتبة واحدة، فما يميز كل جمهور ليس القيم التي يسلم بها، بقدر ما تميزه طريقة ترتيبه إياها(٢٣).

تلك كانت أهم ما يمكن طرحه في مفهوم الحجاج ومبادئه، وليس غرضنا هنا الإحاطة بكل التعريفات والمفاهيم، وإنما غايتنا الوصول إلى أهم تجليات تلك التعريفات والمبادئ الحجاجية في كلام الإمام علي الهادي عليه السلام في احتجاجه على الجبر والتفويض.

المبحث الثاني

التجليات الحجاجية في كلام الإمام الهادي عليه السلام على الجبر والتفويض

المطلب الأول ـ ما تضمنته رسالة الإمام الهادي عليه السلام إلى أهل الجبر والتفويض من بنى حجاجية:

ورد حديث الإمام الهادي عليه السلام في حجاجه على الجبر والتفويض في رسالته التي وجهها الإمام الهادي عليه السلام إلى أهل الأهواء، وقد أورد نص هذه الرسالة أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحراني مرسلاً عنه عليه السلام(٢٤).

بدأ الإمام الهادي عليه السلام رسالته بالسلام، وأنه قد ورده عليه السلام اختلاف الناس في دينهم وخوضهم في القدر وافتراقهم بين قائل بالجبر وقائل بالتفويض، مما أدى إلى تفرقهم وظهور العداوة والبغضاء بينهم، ليبدأ الإمام الهادي عليه السلام بعد بيان موضوع الرسالة ببيان الوجه الحق، فيقول:

"اعلموا رحمكم الله أنا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاءت به الأخبار فوجدناها عند جميع من ينتحل الإسلام ممن يعقل عن الله جل وعز لا تخلو من معنيين: إما حق فيتبع وإما باطل فيجتنب، وقد اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم أن القرآن حق لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق، وفي حال اجتماعهم مقرون بتصديق الكتاب وتحقيقه، ومصيبون، مهتدون، وذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تجتمع أمتي على ضلالة)(٢٥)، فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلها حق، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً.

والقرآن حق لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه، فإذا شهد القرآن بتصديق خبر

وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمة لزمهم الإقرار به ضرورة حين اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب، فإن هي جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملة"[٢٦].

وبعد هذه المقدمة التي يبين فيها اجتماع الأمة على صدق القرآن الكريم ينتقل الإمام الهادي عليه السلام إلى إيراد الشواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على مكانة آل البيت عليهم السلام وصدقهم، فيذكر من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن تضلوا ما تمسكتم بهما وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض"[٢٧]، ويذكر عليه السلام أن ما ورد عن النبي الكريم مؤيد بالقرآن الكريم، وهو قوله تعالى: "﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾"[٢٨].

ويذكر الإمام الهادي عليه السلام ما روي من سبب نزول هذه الآية، من أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تصدق بخاتمه وهو راكع، فشكر الله له ذلك وأنزل هذه الآية[٢٩]، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من كنت مولاه فعلي مولاه"[٣٠]، وقال عليه الصلاة والسلام: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي من بعدي"[٣١]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "علي يقضي ديني وينجز موعدي وهو خليفتي عليكم من بعدي"[٣٢].

ويذكر الإمام الهادي عليه السلام بعد ذلك العديد من الأحاديث عن النبي الكريم في وجوب محبة أمير المؤمنين عليه السلام وطاعته مؤيدة بشواهد القرآن الكريم[٣٣]، وهي كلها مقدمات بين فيها الإمام الهادي عليه السلام صدقية آل البيت عليهم السلام، ووجوب طاعتهم، وعدم جواز مخالفتهم وعدم تصديقهم، فما جاؤوا به هو الصدق الموافق لصدق القرآن الكريم، ويبين الإمام الهادي عليه السلام السبب الذي من أجله ذكر هذه المقدمات فقال: "إنما قدمنا هذا الشرح والبيان دليلاً على ما أردنا وقوة لما نحن مبينوه من أمر الجبر والتفويض والمنزلة بين المنزلتين، وبالله العون والقوة وعليه نتوكل في جميع أمورنا، فإنا نبدأ من ذلك بقول الصادق عليه السلام: لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين، وهي صحة الخلقة، وتخلية السرب، والمهلة في الوقت، والزاد مثل الراحلة، والسبب المهيج للفاعل على فعله.

فهذه خمسة أشياء جمع به الصادق عليه السلام جوامع الفضل، فإذا نقص العبد منها خلة كان العمل عنه مطروحاً بحسبه، فأخبر الصادق عليه السلام بأصل ما يجب على الناس من طلب معرفته

ونطق الكتاب بتصديقه فشهد بذلك محكمات آيات رسوله، لأن الرسول صلى الله عليه وآله عليهم السلام لا يعدون شيئاً من قوله وأقاويلهم حدود القرآن.

فإذا وردت حقائق الأخبار والتمست شواهدها من التنزيل فوجد لها موافقاً وعليها دليلاً كان الاقتداء بها فرضاً لا يتعداه إلا أهل العناد...ولما التمسنا تحقيق ما قاله الصادق عليه السلام من المنزلة بين المنزلتين وإنكاره الجحبر والتفويض وجدنا الكتاب قد شهد له وصدق مقالته في هذا..."(٣٤).

ويورد الإمام الهادي عليه السلام بعد ذلك أخباراً عن الإمام الصادق عليه السلام في جوابه لمن سأله عن الجبر والتفويض، ومجموعة من الأمثلة الموضحة لكلامه عليه السلام والمبينة لإنكار الجبر والتفويض، كما يذكر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما يؤيد ما ذهب إليه الإمام الصادق عليه السلام، مع كثير من الأمثلة والشواهد من كتاب الله جل وعز التي تؤيد أقوال آل البيت عليهم السلام (٣٥).

تلك كانت خلاصة رسالة الإمام الهادي عليه السلام اختصرنا منها الكثير من الفوائد والحكم والأقوال عن آل البيت عليهم السلام لئلا يخرج هذا البحث عما هو بصدده، فاقتصرنا على ذكر ما يبين تجليات البنية الحجاجية فيه.

المطلب الثاني ـ تحليل البنى الحجاجية في كلام الإمام الهادي عليه السلام على الجبر والتفويض:

ينطلق الإمام الهادي عليه السلام في حجاجه من المبادئ الحجاجية التي ذكرت في هذا البحث، فإن أول ما بدأ به الإمام الهادي عليه السلام هو ذكر الوقائع والحقائق، هذه الوقائع والحقائق التي لا يختلف عليها الناس وهي مسلم بها عند الجمهور، وكان الاتفاق حول صدقية القرآن الكريم هو مبدأ الانطلاق، وبمثابة التمهيد لما سيقوله الإمام عليه السلام في حجاجه، وهو قوله عليه السلام: "وقد اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم أن القرآن حق لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق، وفي حال اجتماعهم مقرون بتصديق الكتاب وتحقيقه، ومصيبون، مهتدون.."(٣٦).

ويستعمل الإمام عليه السلام في هذه المقدمة إمكانات الملفوظات الحجاجية التي "تحدد أهدافها في تثبيت علاقة المتكلم بسياق الكلام الذي يتجسد في مجموعة من العناصر المتداخلة من طبيعة اجتماعية ونفسية وثقافية وتاريخية ودينية...مما يشكل على وجه العموم عالم الإنسان"(٣٧).

وإذا كان مفهوم الحجاج ينطلق من الهدف الإقناعي عبر تقديم الحجج والبراهين، فإن ما سبق ذكره من كلام الإمام الهادي عليه السلام يشكل حواراً إقناعياً مستنداً على مجموعة من المنطلقات أو المبادئ الحجاجية التي تتمثل بالأفكار التي هي موضع اشتراك بين المتحاورين مما يمثل نقطة الانطلاق الحجاجي(٣٨)، ليكون النص الحجاجي الذي أورده الإمام الهادي عليه السلام مقصوداً به تغيير اعتقاد موجود عند المخاطب لإقناعه بوجهة نظر مغايرة(٣٩).

ويتميز الشاهد في الثقافة العربية بسلطة حجاجية، ويأتي الشاهد القرآني في مقدمة الشواهد المؤثرة في المخاطب، ولاسيما في مجال الخطاب الديني، ثم يأتي الحديث النبوي الشريف وروايات الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، لتشكل تلك النصوص في مجملها قيمة سلطوية على المخاطب، "فإن الاستشهاد من شأنه أن يقوي درجة التصديق لقاعدة ما معلومة وذلك بتقديم حالات خاصة توضح القول ذا الطابع العام وتقوي حضور هذا القول في الذهن"(٤٠).

ومن هنا نجد الإمام الهادي عليه السلام يستحضر الشاهد القرآني بعد أن كان مهد في كلامه السابق عليه السلام لإجماع الأمة على صدقية القرآن الكريم، ثم يستحضر من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يخدم القضية ويتوافق مع كلام الله سبحانه وتعالى بحيث لا يكون هناك مجال للرد أو الاعتراض، "ولهذه النصوص أو الشواهد القدرة على التأثير في المتلقي، لامتلاكها سلطة فاعلة، فهي أداة الخطيب التي يبلغ بها غايته ويتحصل بها مقصده، ومن صفات هذه الشواهد أنها تمثل حججاً جاهزة إلا أنها لا تمتلك طاقات الحجة إلا إذا أحسن الناقل لها توظيفها على النحو الذي يفجر طاقاتها التداولية(٤١)، وهو ما وجدناه في كلام الإمام الهادي عليه السلام، حين مهد لموضوع الشاهد، والتأكيد على عدم جواز الاعتراض على كلام الله سبحانه وتعالى، ثم بعد أن سلّم الجمهور بهذه الحقيقة التي لا ريب فيها أتى بالشواهد التي تبين صدقية آل البيت عليهم السلام، فاختيار الشاهد في الحجاج لا يتم بشكل اعتباطي، حيث يخضع هذا الاختيار "لمعايير تقتضيها الشروط المقامية التي تجد لها صدى شعورياً وعاطفياً لدى المهاطب، فتقوم بدور المحرك لخياله وتفرض عليه الانتباه وتسهل عليه عملية الفهم"(٤٢).

وبعد أن تم للإمام الهادي عليه السلام التأكيد على تلك الحقائق والوقائع المؤسسة لبيان

صدقية آل البيت عليهم السلام يذكر كلام الإمام الصادق عليه السلام في الجبر والتفويض، وهو قوله: " لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين، وهي صحة الخلقة، وتخلية السرب، والمهلة في الوقت، والزاد مثل الراحلة، والسبب المهيج للفاعل على فعله....[٤٣]، وبذلك يصل الإمام الهادي عليه السلام إلى النتيجة التي يريد لها أن تكون مقنعة للخصم، فكانت بمثابة نتيجة منطقية لا سبيل إلى التشكيك بصحتها بعد أن قدم لها بسلسلة من المقدمات التي كانت بمثابة المسلمات التي أجمع الجميع على صحتها وعدم التشكيك بها، فكان حجاجه عليه السلام في هذه المسألة مبنياً على سلم الحجج التصاعدية التي تقوم على دلالة هذه الحجج في ذهن المخاطب[٤٤]، فكانت "الحجة الأولى المطروحة في الخطاب مهيأة للمتلقي ومحفزة لذهنه على التواصل والمتابعة لما سيأتي بصورة تصاعدية على وفق قوتها لاستمالة المتلقي وإذعانه"[٤٥]، فقام الإمام الهادي عليه السلام بترتيب حججه وفق سلم حجاجي، بوضع كل حجة موضعها ضمن صياغة لغوية مترابطة[٤٦]، وهو ما وجدناه في كلام الإمام الهادي عليه السلام بصورة واضحة هادفة إلى تسليم المتلقي بهذه الحجج والأخذ بها.

الخاتمة:

تلك كانت أبرز تجليات البنية الحجاجية في كلام الإمام علي الهادي عليه السلام في مسألة الجبر والتفويض، اختصرناها من رسالته الموجهة إلى أهل الأهواء، كانت الغاية منها الإشارة إلى ما ورد فيها من أسلوبية الحجاج، وقد خلص هذا البحث إلى النتائج الآتية:

١- اتبع الإمام الهادي عليه السلابية أسلوب السلالم الحجاجية في رسالته، وكانت هذه السلالم تصاعدية مهيئة لتثبيت الحجة في ذهن المتلقي.

٢- امتاز أسلوب الإمام الهادي عليه السلام في الحجاج بالبراعة اللغوية من حيث توظيف الشاهد القرآني والشواهد من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وروايات آل البيت عليهم السلام بصورة منسجمة ومحققة لءلية الاتساق النصي.

٣- كان حجاجه عليه السلام منطلقاً من تثبيت مجموعة من المسلمات في ذهن المتلقي ليبني على هذه المسلمات حجاجه وصولاً إلى النتيجة التي لن يكون بمقدور المتلقي إنكارها لبنائها على ما هو مسلم به في ذهنه.

٤- برز في رسالة الإمام الهادي عليه السلام قوة الحجاج التي امتاز بها آل البيت عليهم السلام عموماً، من خلال ما ذكره من روايات عن أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام، لتكون مدرسة آل البيت عليهم السلام مرتكزاً للنظريات الحجاجية ومنطلقاً لها.

هوامش البحث

(١) - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دت، مادة حجج، 779/2.

(٢) - ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008، مادة حجج، 30/2.

(٣) - لسان العرب، 780/2.

(٤) - آل عمران، 66.

(٥) - الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، 3/ 163.

(٦) - الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، بيروت، 1985، ص73.

(٧) - عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998، ص6.

(٨) - اللسان والميزان، ص14.

(٩) - طروس، محمد، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، 2005، ص15.

(١٠) - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، 2007، ص29.

(١١) - العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص16.

(١٢) - جاسم، زينب جاسم فرحان، الهبات الربانية في القرآن الكريم دراسة حجاجية، جامعة كربلاء، العراق، 2023، ص13.

(١٣) - صمود، حمادي، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، الطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، دت، ص274.

(١٤) - الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص299.

(١٥) - الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر الربي، عالم الكتب الحديث، القدس، فلسطين، 2008، ص26.

(١٦) - العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص31.
(١٧) - النقاري، حمو، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 2006،ص67.
(١٨) - صوله، عبد الله، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، دار الجنوب، تونس، 2011، ص24.
(١٩) - صوله، عبد الله، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص24.
(٢٠) - صمود، حمادي، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص309.
(٢١) - المرجع نفسه، ص310.
(٢٢) - الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، تونس، 2011، ص82.
(٢٣) - في نظرية الحجاج دراسة وتطبيقات، ص26.
(٢٤) - ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول، تح: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1404، ص338-356.
(٢٥) - المجلسي، الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار، تح: يحيى العابدي الزنجاني وعبد الرحيم الرباني الشيرازي، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1983. 68/5.
(٢٦) - العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، مطبعة أمير، قم، 1410، ص198.
(٢٧) - بحار الأنوار، 69/5.
(٢٨) - المائدة، 55-56.
(٢٩) - ينظر: الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2002، 46/4. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان، بيروت، 1379، 210/2.
(٣٠) - بحار الأنوار، 69/5.
(٣١) - المصدر نفسه.
(٣٢) - المصدر نفسه.
(٣٣) - ينظر: مسند الإمام الهادي عليه السلام، ص199-200.
(٣٤) -مسند الإمام الهادي عليه السلام، ص200.
(٣٥) -مسند الإمام الهادي عليه السلام، ص201- 213.
(٣٦) -مسند الإمام الهادي عليه السلام، ص198.
(٣٧) -الجياشي، ظافر، الملفوظات الحجاجية في خطب الإمام الحسن عليه السلام، جمعية العميد العلمية والفكرية، العتبة العباسية المقدسة، بغداد، 2022، ص12.
(٣٨) -الحجاج في الشعر العربي، ص25.

(٣٩) -الصبيحي، محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008،ص108.

(٤٠) - صمود، حمادي، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، منشورات كلية الآداب، منوبة، تزنس، 1999، ص337.

(٤١) -الشهري، عبد الله بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2004، ص537.

(٤٢) -الملفوظات الحجاجية، ص21.

(٤٣) - مسند الإمام الهادي عليه السلام، ص200.

(٤٤) -حنون، عايد جدوع، والعبودي، صلاح جباري، السلالم الحجاجية في شعر أحمد الوائلي، مجلة أوروك، العدد2، المجلد 9، 2016، ص83.

(٤٥) - صادق، مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، منشورات ضفاف، لبنان، 2015، ص123.

(٤٦) - حنون، عايد جدوع، الحجاج في كلام الإمام الحسين عليه السلام، جامعة البصرة، العراق، 2013، ص47.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم.

١. جاسم، زينب جاسم فرحان، الهبات الربانية في القرآن الكريم دراسة حجاجية، جامعة كربلاء، العراق، 2023،

٢. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، بيروت، 1985،

٣. الجياشي، ظافر، الملفوظات الحجاجية في خطب الإمام الحسن عليه السلام، جمعية العميد العلمية والفكرية، العتبة العباسية المقدسة، بغداد، 2022،

٤. حنون، عايد جدوع، الحجاج في كلام الإمام الحسين عليه السلام، جامعة البصرة، العراق، 2013،

٥. حنون، عايد جدوع، والعبودي، صلاح جباري، السلالم الحجاجية في شعر أحمد الوائلي، مجلة أوروك، العدد2، المجلد 9، 2016،

٦. الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر الربي، عالم الكتب الحديث، القدس، فلسطين، 2008،

٧. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007،

٨. ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول، تح: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1404،

٩. الشهري، عبد الله بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2004،

١٠. الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2002،

١١. صادق، مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، منشورات ضفاف، لبنان، 2015،

١٢. الصبيحي، محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008،

١٣. صمود، حمادي، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 1999،

١٤. صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، 2007،

١٥. صوله، عبد الله، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، دار الجنوب، تونس، 2011،

١٦. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان، بيروت، 1379،

١٧. طروس، محمد، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، 2005،

١٨. عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998،

١٩. العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، الدار البيضاء، المغرب، 2006،

٢٠. العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، مطبعة أمير، قم، 1410،

٢١. ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008،

٢٢. المجلسي، الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار، تح: يحيى العابدي الزنجاني وعبد الرحيم الرباني الشيرازي، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1983.

٢٣. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دت

٢٤. الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، تونس، 2011.

٢٥. النقاري، حمو، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 2006.